المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام
The International Conference on Mercy in Islam
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية

حديث
جعل اللّه الرحمة مئة جزء
دراسة تحليلية

إعداد:
د. عبدالرحمن عبدالناصر سيد سلطان
كلية العلوم الإدارية والإنسانية جامعة الجوف
قسم الدراسات الإسلامية

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبدالله ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه.

وبعد،،،

الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، وقيل: هي رقة في النفس تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه.

قال أبو البقاء الكفوي: "الرحمة هي أن يوصل إليك المسار، والرأفة هي أن يدفع عنك المضار، فالرحمة من باب التزكية، والرأفة من باب التخلية، والرأفة مبالغة في رحمة مخصوصة، وهي رفع المكروه وإزالة الضر، فذكر الرحمة بعدها في القرآن مطردًا لتكون أعم وأشمل"[1].

وجاءت السنة واستفاضت نصوصها الداعية إلى الرحمة، والحاثة عليها، المرغبة فيها نصًّا أو مفهومًا، يقول النووي معلقًا على أحاديث الرحمة: "وهذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم

(١) الكليات، أبو البقاء الكفوي ٧٤٢/١.

على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه"[1].

وعلى هذا جاءت أحاديث النبي ﷺ داعية إلى الرحمة بين البشر، وتعددت مروياتها في غضون كتب السنة، وكثرت متابعاتها وشواهدها كذلك، وجاءت دراستنا الحالية لإلقاء الضوء على بعض هذه الأحاديث، ودراسة طرائقها والجوانب الموضوعية المرتبطة بها، فجاءت الدراسة بعنوان: [حديث جعل الله الرحمة مئة جزء دراسة تحليلية].

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

تتضح أسباب اختيار الموضوع، وأهميته من خلال:

١. رغبة الباحث في عرض دراسة موجزة عن الرحمة في إطار السنة النبوية، وأثر ذلك على الفرد والمجتمع.

٢. دراسة طرائق حديث (جعل الله الرحمة مئة جزء) الواردة في ذلك عن النبي ﷺ.

٣. عرض الدراسة الموضوعية المرتبطة بالحديث، ومناقشة الروايات، ومعرفة أثر رحمة الله ﷻ على العباد.

٤. تخصيص البحث في فكرة حديث جعل الله الرحمة مئة جزء لدراسته، ومعرفة أسباب وروده والقضايا الموضوعية المرتبطة به.

حدود الدراسة:

ترتبط هذه الدراسة بكتب السنة النبوية والشروح الحديثية، وكتب التخريج، من خلال عرض طرائق الحديث، ومناقشة الآراء المرتبطة بذلك عند المحدثين.

(١) شرح صحيح مسلم، النيسابوري ٢/ ٦٧٤.

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: الرحمة في حياة الرسول ﷺ، د/ راغب السرجاني، رابطة العالم الإسلامي، المركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ، ونصرته.

عرضت الدراسة السابقة لمظاهر الرحمة في حياة الرسول ﷺ، بين أهل بيته، ومظاهر رحمته بين الصحابة، والرأفة بغير المسلمين في المجتمع الإسلامي، وتختلف عن دراستنا الحالية أن الدراسة تعتمد على فكرة واحدة، وهي حديث جعل الله الرحمة مئة جزء، من خلال المناقشة للحديث وطرائقه، وما يرتبط بالرحمة من خلال الحديث.

الدراسة الثانية: مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد ﷺ، تأليف زيد عمر عبدالله العيص، الأستاذ بجامعة الملك سعود، قسم الثقافة الإسلامية.

لا تختلف دراسة الدكتور زيد عمر عن دراسة الدكتور راغب السرجاني، فكلٍ منهما عرض لمظاهر رحمة النبي ﷺ بمنهج مختلف عن الآخر، إلى أن دراسة الدكتور عمر زيد تخصصت في رحمة النبي بالبشر خاصة، كذلك تختلف عن موضوع دراستنا: حديث جعل الله الرحمة مئة جزء، فدراستنا تعتمد على إظهار دلالات الرحمة خلال رواية واحدة عن النبي ﷺ، ومناقشة ما ورد حولها من آراء عند المحدثين.

الدراسة الثالثة: الرحمة الإلهية دراسة قرآنية، إعداد عمران عزت يوسف بخيت، رسالة ماجستير قدمت إلى جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

هذه الدراسة قدمت لنيل درجة الماجستير في دولة فلسطين، اهتمت بدراسة الرحمة الإلهية، وما يتعلق بها من خلال آيات القرآن ومدلولاتها، ولم يتطرق الباحث خلالها للسنة النبوية؛ لأنها ليست موضوع بحثه، وهذا ما يجعلها تختلف عن الدراسة الحالية التي تهتم بعرض المرويات، ودراسة الرحمة من خلال أحاديث النبي ﷺ.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال:

١. التأصيل النظري لمفهوم الرحمة، ومفهوم السنة النبوية.

٢. دراسة الروايات الواردة في ذلك عن النبي ﷺ.

٣. مناقشة الآراء والترجيح بينها.

٤. إسقاط الآراء في الدراسة على العصر الحالي.

خطة الدراسة:

تقع الدراسة في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس الدراسة.

المقدمة: وفيها عنوان الدراسة، والمنهج المتبع، وأسباب اختيار الموضوع وأهميته، وخطة البحث التفصيلية من المباحث والمطالب.

التمهيد: بعنوان [ماهية الرحمة في السنة النبوية].

أولًا: تعريف الرحمة لغةً واصطلاحًا.

ثانيًا: تعريف الرحمة في إطار السنة النبوية.

المبحث الأول: دلائل الرحمة في حديث جعل الله الرحمة مئة جزء.

المبحث الثاني: مناقشة أثر اختلاف ألفاظ الحديث في تعدد أوجه الرحمة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، التي توصلت إليها الدراسة، والتوصيات المقترحة.

التمهيد
ماهية الرحمة في السنة النبوية

أولًا: مفهوم الرحمة لغة واصطلاحًا.

الرحمة لغةً:

قال ابن منظور: "الرحمة الرقة والتعطف، والرحمة المغفرة، والرحمة الرزق، والغيث، والرحمة في بني آدم: رقة القلب، وعطفه، ورحمة الله عطفه، وإحسانه، ورزقه"(١).

يقال: "ورحمت المرأة رحامة ورحمت رحمًا، ورحمت إذا اشتكت رحمها بعد الولادة، ومن المجاز: رحمة الله، وهو الرحمن الرحيم، أي: الواسع الرحمة"(٢).

قال أبو عبيدة: "رحمان فعلان من الرحمة"(٣)، والرحمة هي إرادة إيصال الخير(٤).

يقول الأنباري: "الصلوات معناها الرحمة، كما قال ﷻ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة](٥)، لذلك يقال: الرحمة هي الرقة والتعطف، والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحمت

(١) لسان العرب، لابن منظور ١٢/٢٣٠.
(٢) أساس البلاغة، الزمخشري ٣/٣١٨.
(٣) الاشتقاق، أبو بكر ابن دريد ١/٥٨.
(٤) التعريفات، الجرجاني ١/١٤٦.
(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري ١/٥٨.

عليه، وتراحم القوم، رحم بعضهم بعضا، والرحموت من الرحمة، يقال: "رهبوت خير من رحموت، أي: لأن ترهب خير من أن ترحم"[1]، وإطلاق الرأفة على الله ﷻ مثل إطلاق الرحمة[2].

ومما سبق يتبين لنا أن مفهوم الرحمة يرتبط بالرقة، والرأفة، والتراحم، والمحبة بين البشر، التي هي من صفات المولي ﷻ، وقد غرسها في قلوب البشر، حتى يتراحموا فيما بينهم، والبعد عن الظلم من أسس رحمة الخلائق فيما بينهم.

الرحمة اصطلاحًا:

الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس بك من أوصل إليك مصالحك، ودفع عنك المضار، ولو شق عليك في ذلك، فمن رحمة الأب بولده، أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتي أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه ويرفهه، ويريحه، فهذه رحمة مقرونة بجهل كرحمة بعض الأمهات [3].

يعرفها الدكتور محمد راتب النابلسي بأنها: كلمة جامعة لكل الخير المادي والمعنوي، والدنيوي والأخروي، والرحمة ضدها القسوة، فالأمور تظهر بأضدادها، والرحمة أيضًا هي المقصود الأول من بعثة النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، وفي الحديث: «أنا رحمة مهداة»[4].

(١) الصحاح، الجوهري ٦/٢٠٧.
(٢) الفروق اللغوية ١/٢٤٧.
(٣) كلام ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان ٢/١٦٩.
(٤) أخرجه ابن سعد (١/١٩٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/١٤٤، رقم ١٤٠٤)، وقال: هذا مرسل، ورواه زياد بن يحيى الحساني عن مالك بن سعير عن الأعمش موصولًا بذكر =

وينسب إلى الله ﷻ فيقال: رب الرحمة، بمعنى أنه جل وعلا يتصف بها[1]، لقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾ [الكهف][2].

والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، قال عبدالرحمن الميداني: "الرحمة رقة في القلب يلامسها الألم، حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر، وجود الألم عند شخص آخر، أو يلامسها السرور، حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر"[3].

أما عن مقتضي الرحمة فهي إيصال الخير إلى الغير، حتى وإن كان هذا الخير مكروها وإليه مبغضا من قبله، وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله: "الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليها فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس بك من شق عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك"[4].

قال الجاحظ: "الرحمة خلق مركب من الود والجزع، والرحمة لا تكون إلا لمن تظهر منه المراحمة خلة مكروهة، فالرحمة هي محبة للمرحوم، مع جزع من الحال التي من أجلها رحم"[5].

يقول الشيخ الزيتوني: "الرحمة فضيلة تدل على قوة صاحبها ونبله؛ لأنه لا يحتكر الخير لنفسه، ولا يهمل التفكير في سواه، وقد يعبر عنها

=أبى هريرة فيه، وحديث أبى صالح المرسل:.
حديث أبى هريرة: أخرجه أيضًا: الحاكم (١/ ٩١، رقم: ١٠٠)، وقال: صحيح على شرطهما.

(١) شرح عدة متون في العقيدة، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ١٣/ ٢٨٣.
(٢) ينظر: مختصر معارج القبول ١/ ٢٦٤.
(٣) الصحاح، الجوهري ٦/ ٢٠٧.
(٤) ينظر: إغاثة اللهفان، ابن قيم الجوزية ٢/ ١٧٤.
(٥) تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، أبو الحسن المارودي، ١/ ٣٤.

بخفض الجناح، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء].

والرحمة معنى قلبي، كل منا يدركه ويشعر به، يقول سعيد القحطاني: الرحمة كما يقول العلماء، قاعدة قضائه في خلقه، والأصل في كل شيء رحمة الله، لسعتها وشمولها؛ ولأنها مكتوبة، كتبها الله ﷻ بإرادته، وفضله لقوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢﴾ [الأنعام][1].

فإن مفهوم الرحمة في الإسلام، الذي يجب أن يسود بين الناس هو التراحم بين المؤمنين جميعا على غير أرحام بينهم، فعن أبي موسى الأشعرى ﷺ عن رسول الله قال: "المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا"[2].

وعن النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[3]، فمن كان من أهل الإيمان فهو من أهل الرحمة، وهو أهل لأن يرحم، ومن لم يكن من أهل الإيمان والإسلام فلا رحمة له ولا كرامة، هذا هو مفهوم الرحمة الإلهية، التي يجب أن نعيها ونفهمها، ونحن مسلمون[4].

ومن المفاهيم الاصطلاحية للرحمة: هي حالة وجدانية تعرض غالبًا لمن

(١) ينظر، خطب ومحاضرات للشيخ سعيد بن مسفر ٧/ ٢١.
(٢) أخرجها البخاري في صحيحه من طريق أبي موسى الأشعرى، كتاب/ أبواب المساجد، باب/ تشبيك الأصابع، رقم الحديث ٤٦٧، ١/ ١٨٢، وأخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي موسى الأشعرى، كتاب/ البر والصلة والآداب، باب/ تعاطف المؤمنين وتراحمهم فيما بينهم. رقم الحديث ٢٥٨٥، ٤/ ١٩٩٩.
(٣) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق النعمان بن بشير، كتاب/ البر والصلة والآداب، باب/ تعاطف المؤمنين وتراحمهم وتعاضدهم، رقم الحديث ٦٧٥١، ٨/ ٢٠.
(٤) شرح عدة متون في العقيدة، صالح عبدالعزيز آل شيخ ١٣/ ١٣٤.

به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني، الذي هو مبدأ الإحسان[1].

لذلك يمكن نشر ثقافة الرحمة من خلال:

١. إخلاص العبودية لله تعالى، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يونس:١٠٥].

٢. التسامح الإيجابي، لقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم:٣٦].

٣. معرفة قدر ابن آدم، لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٨].

٤. شكر النعمة لقوله ﷺ: "من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر"[2].

وقد وسع الإسلام مفهوم الرحمة وممارستها، ليشمل كل نشاط الإنسان ضمن متغيرات الحياة المختلفة، فشمل تعامله مع نفسه بأن يرحمها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩]، واستوعب بالرحمة جوانب التعامل مع الآخرين، حتى جعل عزل الأذى عن الطريق من أوسع أبواب الأجر والثواب، وما ذلك الأجر العظيم الذي يناله المسلم لمجرد رفع الأذى من حجر أو شوك أو نحو ذلك؛ ولكن بتلك الرحمة التي عم بها المسلمين، فشكر الله له عطفه ورأفته بهم[3].

(١) مجلة البيان، الثقافة بين رؤيتين ٢٢/٢٢١.
(٢) ينظر المرايا المقعرة نحو نظرية عربية، الدكتور عبدالعزيز حمودة، العدد ٢٧٢، ص٤١.
(٣) بحوث تربية الفتاة المسلمة، ١/٧٠.

المبحث الأول
دلائل الرحمة في حديث جعل الله الرحمة مئة جزء

دلائل الرحمة في القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرة جدًا التي جعلها الله ﷻ في ذاته وجعلها صفة في جميع خلقه، حتى إن بعض العلماء نقلوا عن الجنيد أنه كان يقول: "الرحمة تنزل على الفقير بثلاثة مواضع عند الأكل فإنه لا يأكل إلا عند الحاجة، وعند الكلام فإنه لا يتكلم إلا لضرورة، وعند السماع فإنه لا يسمع إلا عند الوجد"(١).

وما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٦﴾ [المنافقون]، من رحمة الرسول ﷺ بأمته، قال ﷺ، إنما قال سأزيد على السبعين، وإن كان المفهوم منها المبالغة، ركونا منه لسعة الرحمة؛ لأنه لم ينه عن الاستغفار لهم كما يأتي إيضاحه ما دام ﷺ لم ينه عنه، وهو يركن إلى الرحمة وسعتها ونظره كنظر إبراهيم عليه السلام، حيث قال: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦﴾ [إبراهيم].

قال العلامة ابن زكرى: "اعتبر النبي ﷺ مفهوم العدد، ولم يحمله على المتبادر من المبالغة؛ لأنه بعثه رحمة، فهو يدور مع مسالك الرحمة ما وجد لها سبيلًا"(٢).

(١) بدائع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات الإسلامية، ١/١٨٧.
(٢) إتحاف القاري بدرر البخاري ٦/١٠٧.

مما ورد عن النبي ﷺ في صحيح مسلم: "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله تعالى، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة"(١).

قيل المراد بالسكينة هنا الرحمة، وهو الذي اختاره القاضي عياض، وهو ضعيف لعطف الرحمة عليها(٢)، وهناك من العلماء من جعل الاختلاف من الرحمة، قال ابن عابدين: "وعلم بأن الاختلاف من آثار الرحمة فما كان الاختلاف أكثر كانت الرحمة أوفر"(٣).

دلائل الرحمة في حديث جعل الله الرحمة مئة جزء.

الحديث:

حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع البهراني أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرنا سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ: «يقول جعل الله الرحمة مئة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»(٤).

ومن دلائل الرحمة في الحديث:

١. جعل الله الرحمة في مئة وعاء.

قال ابن أبي جمرة: "يحتمل أن يكون ﷻ لما من على خلقه بالرحمة جعلها في مئة وعاء، فاهبط منها واحدًا للأرض"(٥)، قلت: خلت أكثر

(١) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب/ الذكر والتوبة والدعاء، باب/ اجتماع القوم على تلاوة القرآن، رقم الحديث ٧٠٢٨، ٨/ ٧١.
(٢) شرح النووي على مسلم ٩/ ٦٣.
(٣) الخلاصة في فقه الإقليات، علي نايف الشحود ٣/ ٧.
(٤) أخرجها البخاري في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب/ الأدب، باب/ جعل الله الرحمة مئة جزء، رقم الحديث ٢٢٣٦.
(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٧/ ١٣٣.

الطرق عن الظرف، كرواية سعيد المقبري عن أبي هريرة الآتية في الرقاق: إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مئة رحمة. والمسلم من رواية عطاء عن أبي هريرة: إن لله مئة رحمة، وله من حديث سلمان إن الله خلق مئة رحمة يوم خلق السماوات والأرض، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض.

قال القرطبي: "يجوز أن يكون معني خلق اخترع وأوجد ويجوز أن يكون بمعنى قدر، وقد ورد خلق بمعنى قدر في لغة العرب، فيكون المعني أن الله أظهر تقديره لذلك يوم أظهر تقدير السماوات والأرض، وقوله: كل رحمة تسع طباق الأرض. المراد بها التعظيم والتكثير، وقد ورد التعظيم بهذا اللفظ في اللغة والشرع كثيرًا"(١).

٢. الرحمة التي بين الخلق في الدنيا تكون بينهم يوم القيامة.

في رواية سلمان عند مسلم زيادة وهي: "فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مئة"(٢)، وفيه إشارة إلى أن الرحمة التي في الدنيا بين الخلق تكون فيهم يوم القيامة يتراحمون بها أيضًا، وصرح بذلك المهلب فقال: "الرحمة التي خلقها الله لعباده، وأجعلها في نفوسهم في الدنيا هي التي يتغافرون بها يوم القيامة التابعات بينهم"(٣).

قال: ويجوز أن يستعمل الله تلك الرحمة بينهم، فيرحمهم بها سوى رحمته التي وسعت كل شيء، وهي التي من صفة ذاته، ولم يزل موصوفًا بها، فهي التي يرحمهم بها، زائدًا على الرحمة التي خلقها لهم، ويجوز أن تكون الرحمة التي أمسكها لنفسه، هي التي عند ملائكته المستغفرين لمن في الأرض؛ لأن استغفارهم لهم دال على أن في نفوسهم الرحمة لأهل الأرض، وحاصل كلامه أن الرحمة رحمتان:

(١) تحفة الأحوذي شرح صحيح الترمذي، المباركفوري ١/١٧٦.
(٢) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب/ الرحمة، باب/ سعة رحمة الله ﷻ، رقم الحديث ٤١٧٨، ٣/٤٤.
(٣) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٧/١٣٣.

- رحمة من صفة الذات، وهي لا تعد.
- ورحمة من صفة الفعل، وهي المشار إليها هنا.

وليس في شيء من طرق الحديث أن التي عند الله رحمة واحدة، بل اتفقت جميع الطرق على أن عنده تسعة وتسعين رحمة، وزاد في حديث سلمان أن يكملها يوم القيامة مئة بالرحمة التي في الدنيا، فتعدد الرحمة بالنسبة للخلق هبة من الله ﷻ[1].

٣. إضافة الرحمة في الحديث إلى الله ﷻ.

إن إضافة الرحمة في الحديث إلى الله جل وعلا إضافة المخلوق لخالقه فالرحمة هنا ليست صفة لله جل وعلا، إنما هي أثر الصفة كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [الفرقان]، وقوله تعالى في المطر: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡىِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم]، وما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء»[2]، وأمثلة ذلك كثيرة، فإضافة الرحمة هنا إضافة المفعول إلى فاعله فتكون مفعولًا لله مخلوقا له، وهي من أثر صفة الرحمة الذاتية. ويلزم من ذلك أحد شيئين:

أولهما: أن تكون التسعة وتسعون رحمة المذكورة في الحديث أعيانًا قائمة بذاتها، يرحم الله بها المؤمنين يوم القيامة، كحوض النبي ﷺ، وظل العرش والجنة، وغير ذلك فكل هذه أعيان مخلوقة، ليرحم الله بها المؤمنين يوم القيامة، وهى من آثار رحمة الله الذاتية. الثاني: أن تكون التسعة والتسعون رحمة هذه يجعلها الله في قلوب المؤمنين

(١) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٣٣/١٧.
(٢) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب/ الجنة ونعيمها وأهلها، باب/ النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، رقم الحديث ٧٣٥١، ٥٤/٨.

يتراحمون بها فيما بينهم، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ: أن النبي ﷺ قال «إذا خلص الله المؤمنين من النار وآمنوا فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا أشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار[1]»، وأيضًا شفاعة الملائكة والأنبياء ناتجة عن الرحمة، التي وضعها الله في قلوبهم، كما جاء الحديث السابق في زيادة عند أحمد وغيره، ثم يقول الله: شفعت الملائكة وشفع الأنبياء وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين، وشفاعة الغلمان الصغار لآبائهم، ويشهد لهذا القول ما أخرجه ابن جرير في التفسير عن عبدالله بن عمرو ﷺ ما قال : "إن لله مئة رحمة، فأهبط منها رحمة واحدة إلى أهل الدنيا، يتراحم بها الجن، والإنس، وطائر السماء، وحيتان الماء، ودواب الأرض وهوامها، وما بين الهواء، واختزن عنده تسعًا وتسعين رحمة، حتى إذا كان يوم القيامة اختلج الرحمة التي كان أهبطها إلى أهل الدنيا، فحواها إلى ما عنده فجعلها في قلوب أهل الجنة وعلى أهل الجنة"، وأيضًا شفاعات النبي ﷺ، وشفاعة الشهداء ناتجة عن الرحمة التي أوجدها الله في قلوب عباده"[2].

الأمر الثاني: أن تكون الرحمة المضافة إلى الله جل وعلا في رواية مسلم: «إن لله مئة رحمة» إضافة معاني (وصف لموصوف) أي الرحمة الذاتية غير المخلوقة وتكون رواية البخاري «إن الله خلق الرحمة...» ورواية الصحيحين من باب تقريب الفهم، وبيان مدى سعة رحمة الله جل وعلا للأعرابي الذي قال: اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدًا، كما جاء في مسند الإمام أحمد في

(١) أخرجها الإمام ابن ماجة في سننه ،من طريق أبي سعيد الخدري، كتاب/ الإيمان وفضائل الصحابة، باب/ في باب الإيمان، رقم الحديث ٦٠، ١/٢٣.
(٢) الدر المنثور، الإمام السيوطي، ١/٢٥٣.

سبب ورود الحديث، ومثال ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان] فهذا لتقريب الفهم بما هو مشاهد، إلا أن كلمات الله جل وعلا لا حد لها، وأيضًا قوله ﷺ في الحديث القدسي الذي أخرجه مسلم من حديث أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ ... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا ادخل البحر....[1]» ومن المعلوم أيضًا أن ملك الله ﷻ لا ينقص منه شيئا، الشاهد أنه من المحتمل أن يكون قوله ﷺ «إن لله مئة رحم»، على سبيل التمثيل تسهيلًا للفهم وتقليلا لما عندنا، وتكثيرا لما عند الله جل وعلا، ويكون قوله ﷺ «... وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ[2]»، بمعنى أن كل من في الأرض يتراحمون بآثار جزء من مئة جزء من رحمة الله جل وعلا، وهذا على سبيل تقريب الفهم لنعرف به التفاوت بين القسطين في الدارين، لا التقسيم والتجزئة، فإنّ رحمته ﷻ لا حد لها.

٤. من دلائل الرحمة في الحديث: النبي ﷺ رحيم بأمته.

تظهر تجليات رحمة الله ﷻ في الكثير من العبادات، ففي قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة]، بيان لرخصة ورحمة، جعلها الله للمريض

(١) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي ذر، كتاب/ البر والصلة والآداب، باب/ تحريم الظلم، رقم الحديث ١٧٤٤، ١/ ١٩٩٤، وينظر: الأسماء والصفات، البيهقي، ١/ ٣١٤.

(٢) سبق تخريجه.

والمسافر، لقد جعل الله الصيام أياما معدودات، ومع هذا فقد أعفى من أدائه المريض حتى يصح، والمسافرين حتى يقيموا، تخفيفًا وتيسيرًا، ورحمة بالمكلفين.

وفي السنة، فإن رحمة النبي ﷺ لم تكن قاصرة على أمته، بل جاء رحمة مهداة للعالمين، ولا شك أن رحمة الرسول ﷺ بأصحابه قد عادت على الأمة جميعًا بالخير؛ لأن أفعاله وأقواله معهم لم تكن خاصة بهم؛ ولكنها كانت تشريعًا ثابتًا سيظل معمولًا به إلى يوم القيامة، ولقد بلغت رحمة الرسول ﷺ بأمته حدًا لا يتخيله أحد حتى وصلت إلى التخفيف في العبادة.

٤. سيدنا محمد ﷺ الرحمة المهداة.

إن رحمة النبي ﷺ بُعد مهم في شخصيته، وفي دعوته ومن صميم شخصيته: رسولًا ونبيًا ومبلغًا عن ربه، وهاديا للناس، وحينما تقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، وتقف أمام الآية تدرك سعة رحمة النبي الكريم، وكيف كان ﷺ يفيض رحمة في خلقه وسلوكه وأدبه وشمائله، وإنه لتتناسب وتآلف في أرقى مستوياته بين الرسالة والرسول في هذه الرحمة، حتى يتصور أن يحمل عبء بلاغ هذه الرحمة إلي العالمين، إلا رسول رحيم، ذو رحمة عامة شاملة فياضة، طبع عليها ذوقه ووجدانه، وصيغ بها قلبه وفطرته، لقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة:١٢٨].

فهو مثل للرحمة الإلهية، لذلك وصفه الله تعالى بأنه رؤوف رحيم، لقد أرسله الله رحمة للعالمين، رحمة شاملة للوجود بأجمعه، يستطيع أن يستفيد منها المؤمن؛ لأنه ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨]، فعندما قيل له: أدع على المشركين. قال ﷺ: «إني لم أبعث لعانًا وإنما بعثت رحمة»[١].

(١) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب/ البر والصلة والآداب، =

فمن دلائل رحمة النبي ﷺ بأمته وخوفه عليها، ولذلك كثيرًا ما يذكر لهم سبب هلاك الأمم قبلهم ليحذرهم فصلى الله عليه وسلم، وقد وصفه الله بقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ، ومن دلائل الحديث رحمة النبي ﷺ بأصحابه وحرصه على إبعاد الشر عنهم.

٥. رحمة النبي من رحمة الله ﷻ، التي وسعت كل شيء.

رحمة النبي من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وكذا كانت بعثته ونبوته، فهو ﷻ الذي أوجدها وقدرها وساقها إلى من شاء من عباده، كما قدر غيرها من أسباب الرحمة، فآثار رحمته جل وعلا على عباده ظاهرة في كل حال، وكما قيل في مسألة الإنعام والتفضيل والإحسان، يقال كذلك في مسألة الرحمة، إن موجدها ومسببها ومقدرها هو الله وحده لا شريك له، فإليه تنسب أصلًا، كما تنسب إلى من أجرى الله على يديه نعمة أو رحمة، على أنه سبب من الأسباب، ومنها:

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أنه قال: لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش، إن رحمتي غلبت غضبي»[(١)].
- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: جعل الله الرحمة مئة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا. فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه»[(٢)].

= باب/ النهي عن لعن الدواب، رقم الحديث ٦٧٧٨، ٨/ ٢٤.

(١) ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي ١٣/ ٢٥.

(٢) سبق تخريجه.

المبحث الثاني
مناقشة أثر اختلاف ألفاظ الحديث في تعدد أوجه الرحمة

روايات الحديث:

- أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا إسماعيل بن أحمد حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا حرملة بن يحيى، أخبرنا ابن وهب، قال أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب أخبره، أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «جعل الله الرحمة مئة جزء، فأمسك عنده تسعين وتسعين، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا فمن ذلك يتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه»[1].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مئة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا، وأنزل في الأرض جزءا واحدًا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه»[2].

(١) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب/ التوبة، باب/ سعة رحمة الله ﷻ، رقم الحديث ٧١٤٨، ٨/ ٩٦.

(٢) أخرجها الإمام البخاري في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب/ الأدب، باب / جعل الله الرحمة مئة جزء، رقم الحديث ٥٦٥٤، ٥/ ٢٢٣٦.

- وفي رواية أخري عند البخاري: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مئة رحمة فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار»[١].

- في رواية عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مئة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل الأرض جزءا واحدًا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حوافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»[٢].

الرحمة التي وردت في الأحاديث هي الرحمة التي دل عليها اسم الله الرحمن، والتي تظهر بمقتضي حكمته في أهل الدنيا، فمن رحمته أنه أنعم على الناس ليشكروه؛ ولكن كثيرًا منهم جاحدون[٣]، قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص].

ولما كانت الرحمة التي دل عليها اسمه الرحمن رحمة عامة بالناس أجمعين، فإن الله خص هذا الاسم ليقرنه باستوائه على عرشه في جميع المواضع التي وردت في القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه]، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوق عرش الرحمن»[٤].

(١) أخرجها الإمام البخاري في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب/ الرقاق، باب/ الرجاء مع الخوف، رقم الحديث ٦١٠٤، ٥/٢٣٧٤.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) ينظر أسماء الله الحسني في الكتاب والسنة، محمود عبدالرازق الرضواني ١/٣٥٢.
(٤) أخرجها البخاري في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب/ التوحيد، باب/ وكان عرشه على الماء، رقم الحديث ٦٩٨٧، ٦/٢٧٠٠.

لذلك من الدعاء الثابت باسمه الرحمن: "اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارقًا إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطيها من تشاء، وتمنع منهما من تشاء، أرحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك، اللهم أنت الرحمن المستعان على ما يصفون"[1].

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[2].

يعلق الحافظ قائلا: "وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للمرء أن يجعل تعلقه في جميع أموره بالله وحده، وأن كل من فرض أن فيه رحمة ما حتى يقصد لأجلها، فالله ﷻ أرحم منه، فليقصد العاقل لحاجته من هو أشد له رحمة"[3].

لذلك أوضح النبي ﷺ أنه لا أحد يدخل الجنة إلا برحمة المولى ﷻ، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «سددوا وقاربوا وابشروا، فإنه لا يدخل أحدًا الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟، قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة»[4]، لذلك كتب الله ﷻ على نفسه الرحمة، وهذا استعطاف منه للمتولين عنه الإقبال عليه، وإخبار بأنه رحيم بعباده، وأنه لا يعجل بالعقوبة بل يقبل التوبة والإنابة، ممن تاب وأناب.

والناظر إلي الاختلاف في أوجه الرحمة، وعدد الرحمات، وتعدد ذكر المخلوقات في الرواية، فنجيب عن ذلك بأمرين: الأول: واسم الله الرحيم تحققت فيه شروط الإحصاء، فقد ورد في القرآن والسنة مطلقًا

(١) ينظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ص ٨٤٠، صحيح الترغيب والترهيب ١٨٢١.
(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث ٣٥٢٢، ٢٢/٣.
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤٣١/١٠.
(٤) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق السيدة عائشة رضي الله عنها، كتاب/ صفة القيامة والجنة والنار، باب/ لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى، رقم الحديث ٧٣٠٠، ١٣٢/١١.

معرفًا ومنونا، مرادًا به العلمية ودالًا على الوصفية وكمالها، واسم الله الرحيم اقترن باسمه الرحمن، كما تقدم في ستة مواضع من القرآن، وغالبًا ما يقترن اسم الله الرحيم بالتواب والغفور والرءوف والودود والعزيز؛ لأن الرحمة التي دل عليها الرحيم رحمة خاصة تلحق المؤمنين، فالله ﷻ رحمته التي دل عليها اسمه الرحمن شملت الخلائق في الدنيا، مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم؛ لكنه في الآخرة رحيم بالمؤمنين فقط، الثاني: قول الشيخ حقي: "فهذا يدل على كمال الرجاء والبشارة للمسلمين؛ لأنه حصل في هذه الدار الدنيا من رحمة واحدة، وما حصل من النعم الظاهرة والباطنة، فما ظنك بمئة رحمة في الدار الآخرة "[1].

فكان ﷺ حريصا على الرحمة بالضعفاء، ففي الحديث الشريف: «ابغوني في الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم»[2]، وفي حديث آخر: «اتقوا الله في الضعيفين: الأرملة واليتيم»[3]، وقوله: ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة»[4].

ففي الحديث الشريف: «ليس من أمتي من لا يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»[5].

ومن رحمته ﷺ بالحيوان، قوله: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته»[6].

(١) تفسير حقي، حقي ٣/٣٨٩.
(٢) أخرجها الإمام أبو عيسى الترمذي في سننه من طريق أبي الدرداء، كتاب/ الجهاد، باب/ الاستفتاح بصعاليك المسلمين، رقم الحديث ١٤٠٢، ٣/٢٨١.
(٣) أخرجها الإمام الترمذي في صحيحه من طريق أبي الدرداء، كتاب/ أبواب النكاح، باب/ ما جاء في السعي على الأرملة واليتيم، رقم الحديث ١٢١١، ٣/١٧١.
(٤) أخرجها البخاري في صحيحه من طريق سهل بن سعد، كتاب/ الأدب، باب/ فضل من يعول يتيمًا، رقم الحديث ٥٦٥٩، ٥/١١٢٣.
(٥) أخرجها الإمام أحمد في مسنده، كتاب/ مسند المكثرين من الصحابة، باب/ مسند عبدالله بن عمرو ﷺ، رقم الحديث ٦٩٣٥، ٢/٢٠٧.
(٦) أخرجها الإمام النسائي في سننه من طريق شداد بن أوس، كتاب/ الضحايا، باب/ الأمر بإحداد الشفرة، رقم الحديث ٤٠١١، ٧/٢٢٧.

ومن رأفته بالحيوان، نهيه ﷺ اتخاذ الحيوان هدفًا يرمى، سواء أكان للتسلية أو التدريب، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا»[1]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «نهى النبي ﷺ أن تصبر البهائم»[2].

فالرحمة بالحيوان وخصوصا الأليفة منها يثاب فاعلها ويعاقب تاركها، فمن رحمها يرحمه الله، ومن عذبها يعذبه الله، فلقد روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها، ولا سقتها، إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»[3].

فالله ﷻ هو الرحمن الرحيم، ولم يزل ولا يزال كذلك؛ وهو ﷻ خلق من الرحمة ما يكفي على ما ينشرها على ما يشاء من خلقه؛ فجعل هذه الرحمة المخلوقة مئة جزءًا؛ وأنزل جزء واحدًا منها، لتتراحم به الخلائق في الحياة الدنيا؛ حتى إن الدابة لترفع حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه من ذلك الجزء، أي من ذلك الجزء من الرحمة التي أنزلها الله؛ فانظر رحمك الله إلى مئات الآلاف من الأجناس والأنواع من الأحياء في البر والبحر؛ ثم بتكرار الأجيال إلى يوم القيامة؛ فكم يكون عدد الأمهات من البشر وغيرهم من الأحياء، ولا يحصيهم أبدًا إلا الله، فكم يكون عظم هذا الجزء من الرحمة؛ فكيف إذا أضيف إلى كل ذلك كل رحمة بين الآباء والأبناء وبين الرجال والنساء؛ وبين الكبار والصغار؛ وبين الرحماء والمساكين؛ فكيف إذا أضيف إلى ذلك رحمته ﷻ بإرسال الرياح؛ وإنزال

(١) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق عبدالله بن عباس، كتاب/ الصيد والذبائح، باب/ النهي عن صبر البهائم، رقم الحديث ٣٢٧١، ٢/ ١٧١.
(٢) التخريج السابق نفسه.
(٣) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق عبدالله بن عباس، كتاب/ السلام، باب/ النهي عن قتل الهرة، رقم الحديث ٥٩٨٩، ٧/ ٤٣.

الماء من السماء[1]؛ وإخراج النبات مما يأكل الناس والأنعام؛ ثم أضيف إنجاء المؤمنين، وغير ذلك من أنواع الرحمة، وكلها داخلة في جزء واحد من المائة رحمة؛ ثم قيل يوم القيامة يرفع ذلك الجزء لينضم إلى التسعة والتسعين؛ فتصير مئة كلها لأولياء الله يوم القيامة، فكل هذه الرحمة التي جرت في الدنيا، وأخذ منها جميع الخلق من البشر وغيرهم؛ حتى أئمة الكفر؛ فإنهم ما مكثوا على كفرهم عشرات السنين إلا برحمة الله لعلهم يتذكرون ويتوبون، كل هذه الرحمة لم تنقص من آتصاف الله ﷻ بالرحمة، ولو بمثقال ذرة، وقس على ذلك في جميع الصفات من الخلق والرزق والعزة، وغيرها، فلو أن الأولين والآخرين اجتمعوا في صعيد واحد فطلب كل منهم من الله رزقًا بما يريد، فأعطاهم الله إياه؛ ما نقص ذلك من صفة الرزق لله شيئًا، ولو بمثقال ذرة، فهي صفة كاملة لا تختل ولا تتجزأ[2].

والرحمة الإلهية هي التي وسعت كل شيء وبها تتراحم الخلائق فيما بينها؛ لأنها صفة جعلها الله ﷻ في عباده، فالرحمة جعلها الله ﷻ في قلوب البشر ليتراحموا فيما بينهم لتسود الحياة، ويبتعد الإنسان عن الشر، وكل ما يؤثر في عمله، وتقربه إلى الله ﷻ، فيجب علينا أن نتصف بهذه الصفة الإلهية التي منحنا الله إياها في هذه الدنيا.

ومن تعدد أوجه الرحمة في الحديث، أن اللَّه ﷻ بيده الرحمة وحده، ومن رحمته: أن أحدًا من خلقه لا يستطيع أن يحجب رحمته أو يمنعها عن أوليائه، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر][3].

(١) ينظر: اسم الله الصمد ٩/١.
(٢) المرجع السابق ٩/١.
(٣) ينظر النور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، أمين الأنصاري ٤٧/١.

قال ابن أبي جمرة: « إن الله جعل الرحمة في قلوب الأنبياء أكثر مما جعل في قلوب غيرهم »[١]، وهذا يدل على سعة رحمة الله تعالى بمخلوقاته.

وقد جاء عن النبي ﷺ: «نبي التوبة، نبي الرحمة»[٢]، لقوله تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، ويقول القاضي عياض في ذلك: "كل رحم طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض واحدة بين خلقه، وخبأ عنده مئة إلا واحدة، يرحم الله بها عباده يوم القيامة، وهي عبارة عن كثرة رحمة الله في الدنيا والآخرة، وأنها في التمثيل على ما عهد من تراحم الناس، وقد يحتمل أنها تجزئة صحيحة في أنواع الرحمة، والله يختص بقية أنواعها علي هذه التجزئة"[٣].

والدليل على تعدد الرحمات من الله ﷻ قول ابن رجب الحنبلي: "أما الرحمة فهي دخول الجنة وعلو درجاتها، وجميع ما في الجنة من النعيم بالمخلوقات، ومن رضى الله ﷻ وقربه ومشاهدته وزيارته، فإنه من رحمة الله تعالى، وفي الحديث الصحيح: أن الله ﷻ يقول للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي فكل ما في الجنة فهو رحمة الله ﷻ، وإنما تنال برحمته لا بالعمل، كما قال: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»"[٤].

وهناك روايات أخرى توضح دلالات الرحمة في السنة النبوية، منها رواية أبي هريرة في المعجم الأوسط حدثنا عبدالرحمن بن معاوية العتبي

(١) إتحاف القاري بدرر البخاري ٣/٦١.
(٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، القاضي عياض، ٧/١٦٠.
(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، القاضي عياض، ٨/١٢٣.
(٤) اختيار الأولى في شرح حديث احتصام الملأ الأعلى، ابن رجب الحنبلي، ١/٢١.

قال حدثنا يحيى بن بكير قال حدثني الليث عن جابر بن يزيد عن سعيد ابن أبى هلال عن أبان بن صالح عن مجاهد أبي الحجاج عن طاوس عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال خلق الله الرحمة مئة رحمة، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة، وجعل بين خلقه كلهم رحمة واحدة، ولو يعلم الكافر كل الذي عند الله من الرحمة ما يئس من الجنة، ولو يعلم المؤمن كل الذي عند الله من العذاب ما أمن النار[1].

ومن تعدد أوجه الرحمة التي دلت عليها الأحاديث، قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، قال المقدسي في ذلك: "من آمن به تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر به صرفت عنه العقوبة التي كان يعاقب بها الأمم يعني في الدنيا"[2]، كل هذه المظاهر تدل علي تعدد أوجه الرحمة، وتنوعها كما جاءت في الحديث.

(١) أخرجها الإمام الطبراني في المعجم الأوسط من طريق أبي هريرة، مسند من اسمه عبدالرحمن، رقم الحديث ٤٧١١.

(٢) الأحاديث المختارة، للمقدسي، ٤/٢٣١.

الخاتمة

من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

١. كلمة (رحمة) في معناها اللغوي تحتمل الكثير من المعاني والقيم، فالرحمة بمعنى الرقة، والتلطف، والمغفرة، والتوسعة، واصطلاحًا: هي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد.

٢. وردت الكثير من النصوص القرآنية والحديثية الدالة على خلق الرحمة، التي هي صفة من صفات الخالق جل وعلا.

٣. يمكن نشر ثقافة الرحمة بين الأفراد من خلال: إخلاص العبودية لله ﷻ، والتسامح الإيجابي، ومعرفة قدر ابن آدم، وشكر نعمة المولى ﷻ.

٤. من دلائل الرحمة في الحديث: جعل الله الرحمة في مئة وعاء، الرحمة التي بين الخلق في الدنيا تكون بينهم يوم القيامة، إضافة الرحمة في كل المواضع إلى المولى ﷻ، والنبي رحيم بأمته، وسيدنا محمد ﷺ الرحمة المهداة، ورحمة النبي من رحمة الله ﷻ، التي وسعت كل شيء.

٥. أما عن أثر اختلاف ألفاظ الحديث في تعدد أوجه الرحمة،

فكانت الرحمة في الإسلام متعددة، شملت الإنسان، والحيوان، وغير المسلم، ومن تعدد أوجه الرحمة في الحديث، إن الله تبارك وتعالي بيده الرحمة وحده، ومن رحمته أن أحدًا من خلقه لا يستطيع أن يحجب رحمته أو يمنعها من أوليائه.

ومن أهم التوصيات، التي يوصي بها الباحث:

- ضرورة الاهتمام بالدراسات الموضوعية في الحديث النبوي الشريف، التي لها الأثر العظيم في إثراء القيم الأخلاقية في الإسلام.
- عمل مؤتمرات علمية متخصصة تهتم بالقيم الإسلامية، التي تستطيع من خلالها الرد على كل مستشرق، وقادح في الإسلام.
- الاهتمام بإعداد المؤلفات المتخصصة التي تهتم بالجانب الموضوعي في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف.
- عمل مراكز متخصصة تهتم بنشر الإسلام الوسطي الذي قام على نشر الدعوة، والدفاع عن ماهية الإنسان ووجوده، واحترام الحقوق الشرعية كما يجب.

فهرس المصادر والمرجع:

- القرآن الكريم

١. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، دار الأمل، القاهرة، ١٩٨٧ م.

٢. إحقاق الحق في النفاق، خالد بن إبراهيم، دار الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٣. أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق/ محمد الصادق قمحاوي، ١٤٠٥هـ.

٤. إيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبدالقادر ابن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٥. أحكام القرآن، محمد بن عبدالله الأندلسي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٧. التحرير والتنوير من التفسير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٨. تفسير الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٩. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
١٠. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق/ محمود حسن، دار الفكر، ١٩٩٤م/ ١٤١٤هـ.
١١. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري أبو محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق محمد إبراهيم شمس الدين، ١٤١٧هـ.
١٢. التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار الشروق، مصر، ١٩٨٩م.
١٣. تهذيب الكمال، يوسف بن الزكى عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق/ د/ بشار عواد معروف، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
١٤. تفسير القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي، أبو عبدالله، مطبعة دار الرشد، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
١٥. الجامع الصحيح المسمي صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت، ١٤٢٣هـ.
١٦. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٧. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، دار ابن حزم، لبنان بيروت، الطبعة الثانية، تحقيق/ علي حسين البواب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
١٨. الخلاصة في فقه الإقليات، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، علي نايف الحشود، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٩٤م.

١٩. حاشية قليوبي على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين، شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي، تحقيق/ مكتب البحوث والدراسات الإسلامية، دار الفكر، لبنان، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٢٠. الحاوي الكبير، العلامة أبو الحسن الماوردي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
٢١. الخصائص الكبري، أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٢٢. الدراية في تخريج أحاديث الهداية، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق السيد عبدالله هاشم اليماني المدني، دار المعرفة، بيروت ١٩٩٥م.
٢٣. الدر المنثور، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
٢٤. رسالة في أسس العقيدة، محمد بن عودة السعوي، وزارة الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
٢٥. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٢٦. عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ﷺ، ناصر بن علي عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٢٧. الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق/ حسين محمد مخلوف ١٣٨٦هـ.
٢٨. المبسوط، السرخسي، نشر محمد أفندي المغربي، ١٤٢٣هـ.

٢٩. المتواري على أبواب البخاري، الإمام العلامة ناصر الدين ابن المنير (ت ٦٨٣هـ)، دار الفكر العربي، ١٨٨٦م.
٣٠. المجتمع المدني، المواطنة والديمقراطية، جدلية المفهوم والممارسة، أ/ العيدي صعونيتيه، دار حراء للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٧م.
٣١. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق/ خليل إبراهيم جمال، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٣٢. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق/ مصطفى عبدالقادر عطا، مع تعليقات الذهبي في التلخيص، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
٣٣. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبدالله بن أحمد ابن قدامة المقدسي أبو محمد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٣٤. المفصل في أحكام الهجرة، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الحشود، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٩٠م.
٣٥. المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، د/ علي نايف الحشود، دار الرشد، ١٤٢٣هـ.
٣٦. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٦م.
٣٧. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الطبعة الثانية، دار السلاسل، الكويت، ١٤٣٧هـ.
٣٨. المطلع على أبواب الفقه، محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي أبو عبدالله، المكتب الإسلامي، بيروت، تحقيق/ محمد بشير الأدلبي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣٩. نواقض الإيمان القولية والعملية، عبدالعزيز بن محمد قاسم، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٤٠. الوقوف على الموقوف على صحيح مسلم، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل الشافعي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق/ عبدالله الليثي الأنصاري، ١٤٠٦هـ.

٤١. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني (ت ٥٨٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م.

٤٢. جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٤٣. شرح الأربعين النووية، عطية محمد سالم (المتوفى ١٤٢٠هـ)، دار الرشد، ١٤٢٢هـ.

٤٤. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق د/ أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، وزارة الشئون الإسلامية، الأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤١٨هـ.

٤٥. شرح بلوغ المرام، عطية بن محمد سالم (ت ١٤٢٠هـ)، دار الصوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٤٦. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٤٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، بتحرير الحافظين الجليلين العراقي، ابن حجر، ١٤١٢هـ.

٤٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٤٩. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار العلم، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.
٥٠. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان، بيروت، تحقيق/ محمود خاطر، ١٩٩٥م.
٥١. مسلمون ومسيحيون في الحضارة العربية والإسلامية، أحمد صدقي الدجاني، مركز يانا للدراسات والأبحاث، القاهرة ١٩٩٩م.
٥٢. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٨٣.
٥٣. نظرات استشرافية في فقه العلاقات الإنسانية بين المسلمين، وغير المسلمين، د/ حسن بن محمد سفر، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.